من عشاري أحمد محمود خليل

في التضليل بواسطة قيادات الحزب الشيوعي

ushari@outlook.com

نسخة معدلة ٢٠١٩/١١/١٤

فهذا رد عام على الانتقادات بواسطة عدد قليل من القراء لمقالي "الذباب الإلكتروني وحمدوك"، وهي الانتقادات التي انحصرت في الجزء الصغير، من بين ثلاثين صفحة، والذي كنت خصصته في صفحة أو صفحتين لنقد الحزب الشيوعي.

هذا السعي، يا جماعة، إلى تبرئة الحزب الشيوعي، غير مجدي.

والصحيح هو أن تعترفوا بالحقيقة، أن قيادة الحزب أخطأت في التقدير، في مجال الأخلاق، حين شاركت في تضليل الشباب والجماهير عامة، بحجب المعلومات الجوهرية عنهم.

ويتعين أن يكون اعترافكم بهذه اللُغَة، لا باللَّفَّة.

نعم، إن دوافع الحزب الشيوعي للتضليل ليست هي دوافع الأحزاب الأخرى، تلك التي اعتمدت التضليل والكذب والخداع منهجية قارة لها قصد وأد ثورة الشعب، بينما الحزب موقفه كان دائما مع الشعب، لكن "مع الشعب" بفهم موغل في السطحية والسذاجة والغباء السياسي، الغباء بمعني عدم القدرة على التفكير، ولا يغير منه عمرُ القيادات ولا تجربتها الممتدة، أو نضالها، أو ماركسيتها.

نعم، للحزب أسبابه في تصرفاته إزاء المعلومات التي كانت بحوزته، لكن أسبابه ليست أسبابا معيارية عليا لنقبل بها هكذا دون نقدها، بل نرفضها من أساسها، من منطلق الأخلاق ولزوم الصدقية القطعية في كل شيء، دون استثناء، لا تهمنا أسباب الحزب التي يوردها للتبرير.

ذلك، لأنا، وأتحدث عن نفسي، نعتمد مرجعية أخلاقية أعلى من مرجعية الحزب، فمرجعيته التقليدية، هذا الحزب، فيما يظهر من تعليقاتكم، هي أن "القائد" يعرف كل ما هو في مصلحة الشعب الجاهل بأمور السياسة، ومن ثم يجوز لهذا القائد الشيوعي إخفاء المعلومات عن هذا الشعب ذي الجهالة، "ريثما يتأكد القائد من المعلومات"، وهو معنى كلامكم.

وهذه قيادة الحزب الشيوعي، المتقدمة في السن (وأنا ذاتي تجاوزت السبعين)، والتي رغم نضالها الشعبي، العضوي بين الجماهير، كذلك لم تدرس التغيرات في السودان، أو في العالم من حولنا، التغيرات التي يحملها الشباب، أنه في عالم اليوم،

وسودان اليوم، يجب على السياسي، في جميع الأحوال، أن يُفصح عن كل المعلومات بحوزته، حتى لو كانت البيانات ناقصة أو غير مؤكدة.

وكذا يتعين أن يكون الإفصاح لايف، في لحظته، متطوِّرا مُحَدَّثا لحظة بلحظة، ومُعزَّزا بمزيد معلومات، ومن المعلومات ما قد لا تكون عند هذا السياسي ذاته، لكنها عند آخرين، في عالم الويب والاتصالات الإلكترونية، آخرين منفعلين مع صدقية السياسي وشفافيته، فيمكنهم، من جانبهم، المشاركة في تغزير ماهية القضية المطروحة، بمعلومات إضافية يعرفونها، لتكتمل الحقيقة الواحدة، وكما قلت: إن الحقيقةَ دائما واحدةٌ، لكن تتعدد المداخل إليها وتختلف. وعلينا أن نمسك بهذه الاختلافية في مقاربة الحقيقة، وأن نخضعها للفهم والتفسير.

هذا في عصر تكنولوجيا المعلومات، والواضح أن قيادة الحزب، في تقليديتها من حيث هي ماضوية، لا تستوعب هذا الأمر.

فبسبب العمر، ومحدودية الجسد في علاقته بالعمر المتقدم، وكذا بسبب محدودية فاعلية الدماغ ذاته، يصبح الدماغ تدريجيا أضعف وأضعف في مجالات فيكرية حاسمة، وإن كان يكتسب قدرات في الفهم والتفسير والتأويل لا تجدها عند كثيرين من الشباب.

فهذه قيادات الحزب الشيوعي، المتقدمة في السن، تظل غير قادرة على التعامل مع سودان اليوم، أو حتى فهم هذا سودان اليوم، فيما يتعلق هنا بالشفافية، وديمقراطية التمثيل، وأخلاقية الممارسة السياسية، كاستحقاقات لزومية.

وهو البعد الذي يستحضر مسألة التَّعلُّم، فخطاب الحزب يتضاءل في مجال المعرفة والعلوم والحكمة كالفلسفة، إزاء ما لابد هي مظانُّ تعلمٍ متاحٌ الوصول إليها عند عضوية الحزب المنتشرة في السودان، وفي المهجر، ولدى أصدقاء الحزب، هؤلاء المقصيين أصلا من أي دور للإسهام في تعلُّم الحزب، أو في إنشاء خطابه، فقط لأنه ليسوا حملة بطاقة المواطنة في الحزب!

مما هو سوء تقدير، وضعف فهم، وخمولٌ محمول في فكرة "الحزب" كقبيلة ذات حاكورة فكرية.

فلا أرى مكانا لهذه القيادات في ريادة حزب تقدمي مستقبلي، حزب وجد نفسه بالمعاناة في ملاقاة فرصة تاريخية، وفَّرتها الثورة التي شارك في صنعها، فرصة تاريخية لاستعادة الحزب موقعَه المستحقَّ في القيادة الجماعية التقدمية، لا القيادة في معية السماسرة، ففَوَّت الحزبُ الفرصةَ، وتركها لكل سمسار كذاب، مثل الدقير وخالد سلك والصادق المهدي وبابكر فيصل ومحمد ناجي الأصم، وغيرهم من "أيقونات" التضليل.

فوَّت الحزب فرصته التاريخية، لأنه أصلا بقيادته الحالية لم يكن قادرا على فهم معنى ثورة الشباب، من حيث إنها كانت، بالدرجة الأولى، **ثورة ثقافية، مفاهيمية، أخلاقية، بقيادة المرأة**، إذا كنا فهمنا حقيقة معنى قيادة المرأة لهذه الثورة، الثورة ضد القديم بأكمله، وضد الإسلامية بشريعتها وفسادها وإجرامها، في ذات نَفَس العبارة المُوحدة، وضد الذكورية.

فالحزب الشيوعي، قيادته الراهنة ذكوريةٌ في التركيبة التناسلية، مثلما هي ذكورية في الدماغ وفي التفكير والفهم والممارسة السياسية.

وهو حزب تنكر لمستقبلية ماضيه في الخمسينات والستينات في مجال تمثيل المرأة، وها هو يأتي، بعد ستين عاما ويزيد، ليمنع المرأة، بقرار سري غير مفصح عنه، لأنه قرار محفور في غياهب الدماغ، يمنعها من التمثيل في القيادة، التمثيل الموضوعي، الحقيقي، الراديكالي، لا التمثيل الرمزي الاستهبالي بتاع حمدوك.

لهذا اقترحتُ البدأَ في التفكير، بواسطة الشباب، التفكير في تنحية القيادات الذكورية المتقدمة في السن، والتي تجاوزها حاضر السودان وفيه مستقبلُه، مثلما تجاوزها العالم الذي نعيش فيه ومعه، ولم تعد هذي قيادات الحزب قادرة على اللحاق بما فاتها.

ويمكن أن تكون التنحية بالثورة الداخلية على هذه القيادات، إن لم تتنح القيادات طواعية، من ذاتها.

خاصة وأنه قد ثبت الآن، بصرف النظر عن أية تبريرات أو تفسيرات، أن هذه القيادات، الذكورية، والمتقدمة في السن، شاركت في تضليل الجماهير، ولا يكون التضليل إلا بالقصد، لا تهمنا تفسيرات أو تبريرات.

فقد كان التضليل بحجبها معلومات جوهرية، معلومات لو كانت القيادات أفصحت عنها، في وقتها، كما هي، حتى وهي معلومات ناقصة، أو غير مؤكدة، لكانت تلك المعلومات المتاحة غيَّرت مسار الثورة السودانية، ولمنعت العسكر، خونة الوطن عملاء الأجنبي قتلة الشباب المعتصمين، من فرض أنفسهم في رئاسة الدولة بسلطات سيادية تنفيذية واسعة النطاق.

دائما بقوة الجبن العسكري، وبتواطؤ سماسرة قحت، والحزب الشيوعي ذاته.

فقيادات الحزب الشيوعي لا يُغتفر لها أنها كذلك كانت موجودة في الاجتماعات الرسمية مع المجلس العسكري وقيادات قحت الأخرى، في الغرفة، لكنها وافقت، بل اتفقت، مع المضللين الآخرين، على التكتم على ما كان يدور داخل الغرفة.

وهكذا كان سماحُها أن تركت المجال مفتوحا للسماسرة، وللعسكر، لبث الأكاذيب، وتضليل الشباب والشعب. واكتفت قيادة الحزب، آنذاك، بالتفرج.

عندئذ، كان الصحيح، والأدخل في الشفافية والمبدئية والأخلاقية، بل في الماركسية بفهم لها عميق، أن تنشر قيادات الحزب الشيوعي كاملَ المحاضر للاجتماعات الرسمية السرية، دون اكتراث لاحتجاج السماسرة القحتيين، أو غضبة من العسكر الغاصبين للسلطة.

نعم كان عليها النشر، على الملأ، في الأسافير، لا في جريدة الحزب الورقية، حتى لو كان ذلك أدى إلى حرمان الحزب الشيوعي من حضور اجتماعات رسمية إضافية.

وهي قيادات الحزب كانت أصلا مقصيةً من الاجتماعات السرية، الأخطر أهمية، التي كانت تدور ليلا بين التجمعيين والقحتيين السماسرة، مع العسكريين، في منازل العسكريين. مما تحدث عنه البرهان وياسر العطا.

لقد فشل الحزب الشيوعي في كل ذلك فشلا أخلاقيا ذريعا، ولن تتمكن القيادات الراهنة من مسح أثر هذا الفشل الأخلاقي.

ولن تقدروا أنتم المدافعين بدون حجة، مهما حاولتم، على تفسير هذا الفشل أو تأويله، إلا على سبيل نوع مغالطاتكم الراهنة.

المحاضر

فأين محاضر الاجتماعات الرسمية مع العسكر والقحتيين والتجمعيين بحضور ممثلي الحزب الشيوعي، المحاضر فيما يخص الشعب والجماهير والشباب، أصحاب الحق في معرفة كل شيء، كل شيء، دون استثناء، أين هي؟

وقد كانت الجماهير الشبابية تطالب، وتلح في الطلب، لمعرفة ما دار في الغرف المغلَّقة، فتكتمت قيادةُ الحزب الشيوعي، وتركت الفرصة للمحتالين، مثل الدقير والأصم ومدني عباس مدني، والذباب الإلكتروني بقيادة البراق، لتثبيت الخداع، وضمان أن الشعب يظل مضللا يقتات الأوهامَ يحسبها الحقيقة.

أين أوراق ممثلي الحزب الشيوعي؟

أوراقهم بخط أيديهم، وهم يسجلون وقائع الاجتماعات التي حضرها الحزب رسميا مع آخرين؟

أين التسجيلات الصوتية للاجتماعات، حتى التسجيلات السرية ولها مشروعيتها عند التعامل مع المحتالين المضللين السماسرة؟

من تحدث؟ ماذا قال؟ من رد عليه؟ وكيف؟

أهي هذه المعلومات خاصتكم أنتم فقط، قيادات وعضوية الحزب، في اجتماعاتكم السرية لحزبكم الشيوعي؟

وتتحدثون عن "الشعب"، و"الجماهير"؟

تريدون الشعبَ والجماهير حشودا تُبعا أذلاءَ جهلةً مخدوعين مضلَّلين منساقين وراءكم، بدون المعلومات المدسوسة في جيوبكم؟

تخادعوننا الآن، "والله، المعلومات التي قالها سكرتير الحزب الآن أصلا كانت متاحة ...!"

على من تلعبون؟

لماذا لم يتم نشر محاضر تلك الاجتماعات في لحظتها، وحتى يومنا هذا، نشرها خاما دون تنقيح؟

هذا هو مستوى الشفافية الأخلاقية الذي أتحدث عنه.

...

لقد كان الحزب الشيوعي، في سياق الثورة السودانية، الحزبَ الوحيد المؤهلَ ليكون عيونَ الشعب، وآذان الشعب، داخل الغرف المغلَّقة، حيث كانت تدور الاجتماعات التي كان موضوعها التحتيُّ لدى السماسرة هو توطينُ العسكر القتلة المجرمين عملاء العدو الأجنبي خونة الوطن، توطينهم في رئاسة الدولة بسلطات سيادية تنفيذية واسعة النطاق.

وهو ما حدث فعلا، توطين العسكر، كذلك بمباركة قيادات الحزب الشيوعي، ولنقل المباركةَ حتى صدور بيان الحزب في يوليو ٢٠١٩، **بعد فوات الأوان**.

ولا أتحدث عن الاجتماعات غير الرسمية، تلك اجتماعات التآمر والتفاكر، في بيوت العسكريين، أو حدائق رجال الأعمال.

وحتى هنا أيضا، كان يتعين على استخبارات الحزب الشيوعي، التي رصدت تلك الاجتماعات الليلية السرية، أن تنشر أخبارها، في وقتها، لايف.

تحسبون الثورةَ لعبةً؟

نعم، لقد خيب الحزب الشيوعي آمال المنتظرينَه، وسجل فشلا أخلاقيا سيظل محفورا في الذاكرة السودانية الجمعية.

وكذا هو الفشل الأخلاقي متمددٌ في هذه التعليقات منكم، ومنها أني، بنقدي للحزب، أصبحت في مقامية "المعادي للحزب"!

وهي المقاميةُ سِيخةُ عضو الحزب المندس في القروب والمكلف من الحزب بالتصدي لحرية التعبير، يستحضرها هذا العضو المؤدلج دون تفكير.

لم يفهم الحزب، وأنتم لم تفهموا، حتى الآن، **جوهر الموضوع**.

فأنتم تحاجون بدون حجة، وخارج السياق السوداني، اعتمدتم التعمية الذاتية، قصد الفرار من ملاقاة معنى الغضب الشبابي المتصاعد ضد السياسيين المضللين، وضد "الكذب السياسي"، جملة وتفصيلا، في أي شكل يأتي هذا الكذب، تضليلا أكان، أو

خداعا، أو حجبا للمعلومات، أو تزويرا، أو هراء، أو مغالطة سخيفة، أو تغطية على الكذب ذاته.

وهو كله مفروش أمامكم في حركة الشباب العالمية، ترونه في لبنان والعراق وفي الجزائر، وفي دول أخرى، حيث يرفض الشباب كامل ركام الماضي السقيم، بأكاذيبه واستعلائه وخرافاته واتفاقاته السرية وراء ظهر الشعب.

لكن، الفرصة تظل أمامكم، شباب الحزب، وهي فرصة للتفكر، وتبدأ بالتخلي عن هذي دوغمائية الدفاع عن الحزب، وهي الطريقة القديمة.

فعليكم الآن العودة إلى الأشياء كما هي، في ذاتها، تتحدث عن ذاتها، أي العودة إلى الوقائع، في هذي ظاهرة **التضليل السياسي**، المزروعة في ثقافة الحزب الشيوعي، ولا عذر أنها الثقافة القارة في جميع الأحزاب السودانية الأخرى.

وحقيقةً، اعتقدتُ دائما أن الشيوعيين هم الأقربُ، بالمقارنة مع عضوية الأحزاب الأخرى التي لا يرجى منها، الأقربُ إلى الإمساك بالإمكانية المشدودة إلى الأخلاقية والأصالة والمستقبلية، واعتمادِها، وهي إمكانية الصدقية الصافية، الكاملة، غير المشوشة بالاعتبارات السياسية الوقتية، أو التقديرات البراغماتية الزائفة.

ذلك لأن "قيادة الحزب"، على مستوى التجريد، كقيادة كل حزب يستحق أن يُكيَّف حزبا مستقبليا، لم تعد تُفهم على أنها قيادة **هرمية**، فالقيادة بل هي لأعضاء الحزب، كل فرد في فرديته، بين جماعة، دون معقب على أي فرد عضو في الحزب،

فيما يعتمده العضو الفرد من رأي، أو ما ينشره دون استشارة الحزب. دائما بتعبئة تكنولوجيا الاتصالات.

وهذا هو معنى "الأصالة"، المعناها "الحق" والصدقية، والتي لا تكون إلا فردية، وفيها قوة الحزب، قوته ذات القابلية إلى التمدد عبر حدود المواطنة الحزبية، إلى ما بعد العضوية، إلى أصدقاء الحزب، وإلى الشباب غير المتحزبين الرافضين الأحزاب القديمة، بما فيها قديم الحزب الشيوعي ذاته.

وبهذا تمدد قوة الحزب، القوة المادية المُجسْدَنة كإمكانية مستقبلية لمَّا تتحقق، وهي القوة المحمولة في الأصالة، وجوهرها "الحق"، والحقوق، والاستحقاقات، والحقيقة، فقط بهذا التمدد، كانديا فكري أخلاقي، يمكن للحزب الشيوعي، بشأن هذه الإمكانية المستقبلية غير المتحققة بعد، أن يغير فلسفته وكامل منهجه.

ذلك قصد أن يذوب الحزب ذاته في حشود الشباب، وهي حشود الجماهير، بحيث لا يعود للحزب ذاته من سبب موجب أن يكون حزبا، بعد اكتمال رسالته المذوَّبة في الاستنارة والوعي الجماهيري.

تبدو أحلاما، لكنها تصورات أرضيات أساس مركوزة في الأشياء بين أيدينا، من قراءة تعطش السودانيين، خاصة الشباب، لقيادات جديدة، بفهم مستحدث لمعنى القيادة، بما هي قيادة أخلاقية، تعتمد الشفافية المطلقة، وحرية التعبير لكل فرد في فرديته، بالطريقة التي يريد الفرد بها أن يعبر عن كينونته.

قيادات لا تداهن الباطل، أو الفساد المؤسسي، أو الإسلامية، بحجة البراغماتية أو تصنع المعقولية، وإنُّو ياهو دا السودان!

العبارة الكاذبة في خطاب عديمي الخيال، غير القادرين على تخيل السودان إلا في إطار عِرفتهم الماضوية.

تريد حشودُ الشباب قيادات لا تخاف من مواجهة الشريعة، مواجهتها كذلك بقراءة الماضي المدعي أنه المستقبل، قراءته باستحضاره وتبيين حقيقيته التي ظلت خبيئة تحت ركام أكاذيب المؤرخين وأوهام المثقفين السودانيين.

تريد حشود الشباب قيادات تبادر إلى ملاقاة هذه الشريعة، ملاقاتها بسلاح تاريخيتها، كالشريعة المعذِّبة شعبَ السودان عبر التاريخ، منذ العدوان الاستيطاني على المواطنين النوبة فيما هو اليوم شمال السودان.

وأتحدث عن العدوان بواسطة المليشيات الإسلامية بقيادة عبد الله بن سعد ابن أبي السرح، بعد فترة وجيزة من نشأة دولة محمد بالمدينة. وهو العدوان بتلك محمولاته في الاسترقاق، ونهب الموارد المحلية، والقهر الأجنبي، ودفع الجزية.

ولا أستحضره إلا لأن حلقاته المعذِّبة شعب السودان تمددت لتتمخض عن كامل الكيان في كليته، في الدولة الإسلامية الإجرامية الفاسدة، بقيادة الحركة الإسلامية السودانية، التي وإن ألحق بها الشباب الهزيمة الماحقة إلا أنها تظل متمكنة.

ومن ثم أهمية العودة إلى الأشياء في جوهرها وأصولها الأولية، مما هو محل المقاومة، بالعلم والمعرفة والحكمة، لتبين أن الشريعة لا مكان لها في الدولة السودانية الحديثة.

والجوامع تلك هي مفتوحة لمن يريد الشريعة، ومن يريدها فليطبقها بذاته في ذاته في شخصه، في حدود جسده، دون أن

يطال ذلك زوجه أو أطفاله المحميين بدستور فيه الحقوق والاستحقاقات مضمونة الإنفاذ.

والثابت هو أن الحزب الشيوعي، في وضعيته الراهنة، بقيادته الأمرها معروف، غير مؤهل لاكتناه التاريخ أو المستقبل.

...

وأراكم يا مدافعين عن قيادات الحزب الشيوعي الراهنة اعتمدتم أنفسكم أَلفَوات مدرسة متوسطة، دَقة قديمة، تركتم جوهر الموضوع في مقالي (الذباب الإلكتروني وحمدوك)، وتجاهلتم جميع القضايا التي أثرتها، ومسكتم فيا أسميتموه لغتي وأسلوبي، وكتبتم في السبورة "عشاري، عاصي!".

بينما تظل لغتي صحيحة، في حقيقيتها وصدقيتها. وأنتم لم تفهموا الألفاظ أو الكلمات في مقالي عن "الاحتيال" (مثل: الكذب، الاستهبال، الخداع، التضليل، الهراء، التزوير، الغش، النفاق، وغيرها).

لم تدركوا أنها أوعية مفاهيم فلسفية، معبئة بالمعاناة لفهم الوقائع وتفسيرها، وهي ألفاظ وكلمات مركبة في عبارات ذات معان، في موضوعيتها كذلك هي تقييمية، على أساس أخلاقي، وليست تعييرية على سبيل الشتائم كما زعمتم.

ولغتي ليست من قبيل خطابكم الفاتر، خطاب الترضيات المنسوج بالخوف من الناس ومن الحرس القديم، بل هي لغتي تأتي متحدرة من صحيح الغضب الشخصي، السياسي، الذي تثيره الذاكرة المجروحة، بمذبحة الشباب المعتصمين، الحدث الذي

أعتمده المرجعية الأساس، لكتابتي، ولكل كتابة تلتزم الأصالة والأخلاقية والحق.

بل إن مذبحة الشباب المعتصمين هي الآن منصةُ التفكير والفهم والتفسير والتحليل والتأويل، لكل تحليل وضعياتي، ولكل موقف سياسي في الشأن العام، ولكل حدث.

وكذا هي مذبحة الشباب المعتصمين مرجعية تقييم كل زَوْل سوداني، في كينونته، المعبر عنها باللغة.

...

فبيني وبين الذين ضللوا الشبابَ بحورُ دماءٍ تسيل في ميدان الاعتصام، أمام بوابات قيادة الجيش-عدو-الشعب-السوداني.

يوم الاثنين ٣ يونيو ٢٠١٩.

...

عشاري أحمد محمود خليل

النسخة المنقحة المعدلة، سياتيل ٢٠١٩/١١/١٤